

عبد الله عبد الدايم مفكراً

أ.د. محمد الشيخ حمود*

د. محمد جهاد جمل**

الملخص

تهدف الدراسة الحالية إلى إلقاء الضوء على دور أحد الرواد العرب في مجال تطوير واقع التربية في الوطن العربي، ومشروع إيجاد فلسفة تربوية على صعيد الوطن العربي الكبير، ولقد حاول البحث تقديم فهم لحياة عبد الله عبد الدايم الفكرية لما لهذه الحياة من قابلية للنمذجة، كما هي قابلة في بعض تقاطعاتها ومنعطفاتها إلى أن تكتسي تعبيرات تاريخية.

اتبع البحث المنهج التاريخي، واعتمد على استقراء الموروث الفكري لعبد الدايم وتحليله، وقد أجاب البحث عن السؤال الآتي :

ما مراحل تكوين الفكر التربوي وتطوره عند المفكر عبد الله عبد الدايم؟
كما واستعرض البحث مراحل تكوين فكر عبد الدايم، وأهم آرائه التربوية والقومية، وجهوده في تطوير التربية العربية من خلال مراجعة استراتيجية التربية العربية.

* جامعة دمشق - سورية.

** الجامعة العربية الدولية - دمشق - سورية.

١- مقدمة

تحتل تجربة عبد الله عبد الدائم الفكرية مكانة متقدمة من تجارب جيل من المثقفين في الوطن العربي، هذا الجيل جيل المكابدة، (جيل القدوة والمثال علماً وقيماً وحرصاً على الثوابت القومية والأمانة العلمية والترعة الإنسانية) (السيد ٢٠٠٨، ٦)، وهو مع أترابه المثقفين أرسوا ملامح الفكر العربي المعاصر، ومثلوا لوحة تفاعل ألوان الحضارة التي ينتمون إليها في فترة بزوغ النهضة العربية، على الرغم من التحديات الصعبة التي اعترضت أمتنا، كان أقلها النضال من أجل الانعتاق من ربة الاحتلال الأجنبي، وقناعة الشعب الذي يمتد بملأ يده من المحيط إلى الخليج بفكرة الوحدة، وقناعة هذه الملايين أن طلب الوحدة والنضال من أجلها هو تحسيد ليقظة عربية تبعث في نفوس هذه الجماهير الحياة، ولعل الوجه الحضاري الذي شكله هذا الانبعاث هو محاولة المواجهة الثقافية والمرجعية الأيديولوجية لأمة مناضلة، تتطلع لأن تأخذ مكاناً لها تحت الشمس يليق بتاريخ نضالها وإرثها الحضاري، ومن رحم المشروع الثقافي الناهض هذا ولد الفكر التربوي العربي الحديث الذي ورث وضعاً مأساوياً يتلخص بالثالوث المقيت (الجهل، والفقر، والمرض) فضلاً عن مخلفات سنوات الفقر العلمي والثقافي.

ولجسر الهوة بين ما وصلت إليه الأمم، وحالنا، رأى مثقفو الأمة في النهضة التربوية طريقاً للخلاص مع توافر الرغبة الجارحة هذه لدى الرواد، وقد أخذت قضية التربية والتعليم عندهم جل اهتمامهم لإدراكهم أهمية هذا المجال الحيوي ودوره في إنقاذ الأمة. والحق فإن عبد الله عبد الدائم يعد من المؤسسين لفكر تربوي أصيل في تاريخ رواد الفكر العربي الحديث والمعاصر.

٢- مشكلة البحث

مما هو غني عن التأكيد أن التربية في البلاد العربية تعاني ضعفاً في مخرجاتها، فضلاً عما تعانيه من مشكلات من الناحية الكمية، على الرغم من امتداد رقعة الخدمات التعليمية امتداداً واسعاً أفقياً، فالنتائج المنتظر من هذه الجهود أقل بكثير من المأمول والمتوقع، ذلك أننا ما زلنا نعيش حالة بطء في حركة التنمية الاقتصادية والبشرية الحاضنة للتنمية التي نتمناها، كذلك الهوة المعرفية التي تعيشها المجتمعات العربية، فالنتائج المعرفية العربي مازال في جله على قلته يصب في مجرى العلوم الإنسانية ليس إلا — على أهميته — لو سار بمساواة المعرفة في مجال العلوم البحتة لتغيرت المعادلة. تداعى لهذا الواقع كثير من المفكرين والتربويين العرب، لاعتقادهم أن في التربية حلاً لكل ما تعانيه هذه المجتمعات، وفي مقدمة هؤلاء المنادين بدور التربية في الحل المفكر التربوي الرائد عبد الله عبد الدائم — رحمه الله — وقد شرع في الدعوة إلى أن يتحمل الجميع مسؤولياتهم تجاه تحديث التربية والتعليم ورصد مشكلاتها وسبلاتها والظروف المحيطة بها والعمل على تنمية اتجاهاتها وتطويرها في الوطن العربي.

إن دعوات عبد الله عبد الدائم بثت في تضاعيف الكتب والبحوث، وهذه في مجموعها عكست فكره التربوي المعاصر. إن الباحثين دعتهم الغيرة لتأطير عمل هذا المفكر التربوي القيم، كذلك ندرة البحوث التي تناولت هذا المفكر التربوي.

٣- هدف البحث وتسألاته

— التعرف إلى الفكر التربوي والفلسفي الذي خلفه عبد الله عبد الدائم للتربية، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١- ما المراحل التي تشكل فيها فكر عبد الله عبد الدائم التربوي، وتطوره؟
- ٢- ما أهم الملامح في فكره وآرائه التربوية والثقافية في ثورة المعلومات والغزو الثقافي في ظل العولمة.
- ٣- ما أهم القضايا القومية و التربوية والثقافية التي تناولها في آثاره المكتوبة ؟

٤ - مصادر البحث وأدواته

تعد مؤلفات عبد الله عبد الدائم وأفكاره التربوية مراجع البحث الحالي.

٥ - حدود البحث

تأتي ملاحظة البعد التاريخي مما يتوجب على الباحث تحديده وفق معايير المنهج التاريخي، وفي دراسة الفكر التربوي عند عبد الله عبد الدائم بوصفها ظاهرة إنسانية وتربوية.. وعليه فيمكن تحديد الإطار التاريخي لهذا البحث من عام ١٩٥٣ وهو يوافق أول مؤلف له بعنوان دروب القومية إلى آخر مؤلف حصلنا عليه.

٦ - أهمية البحث والحاجة إليه

— الاطلاع على ملامح فلسفة تربوية عربية جسدت الآراء التربوية من جيل الرواد الذي تراكم عبر السنين والمنبثق من فكرة النهضة العربية ذاتها، والتي يمكن حصرها بشكل عام بالاتجاهات الآتية:

أ — اتجاه التغريب: تقليد الغرب

ب — الاتجاه الديني السلفي: ردة فعل لحركة التغريب

ج — الاتجاه القومي: تماشيا مع موجة القوميات في العالم الغربي

د — الاتجاه الاجتماعي الديمقراطي (الاشتراكي): تأثر بكارل ماركس والثورة البلشفية.

— تمثل دراسة فكرنا التربوي باتجاهاته المختلفة حصيلة الخبرات، والطرائق والأساليب والأفكار التي تمثل مراحل تطور هذه الطرائق والأساليب والأفكار لدى جيل عبد الدائم، من خلال الكتابات التربوية التي أنتجها يراع المفكرين المنتمين لتيارات واتجاهات الفكر التربوي (إسماعيل: ٣٢، ١٩٧٥). و يعد عبد الدائم واحدا من أهم من كان شغله الشاغل تكوين نظام تربوي عربي قادر على تحقيق التنمية الشاملة السريعة والتقدم العلمي والتكنولوجي الجدير بالعصر، وبناء الإنسان الذي يمتلك القيم والاتجاهات والمواقف التي تفجر قدرات العطاء من أجل بناء مجتمع عربي متقدم، ومن أجل صوغ مشروع عربي قادر على توليد أفراد مجتمع عربي يواجه تحديات العولمة، ومراميها الخفية في طمس خصوصية أمتنا، وهويتنا التي نعتز بها. ثنائية عبد الدائم مزجت بين الجانب العقائدي والجانب التربوي. وتظهر أهمية البحث والحاجة إليه في النقاط الآتية أيضا:

٦-١ — سلط عبد الدايم الضوء على التربية والتعليم وأبرز أهميتها التي تستحقها في حياة الفرد والمجتمع والأمة وعد التربية مشروعاً لتكامل نمو الإنسان جسمياً وعقلياً ووجدانياً، مؤسساً على أن المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية والوسيلة الفعالة التي تحقق من خلالها التغيرات الثقافية والأهداف القومية المشتركة، ذلك بعد أن وصف واقع التربية العربية وحدد مشكلاتها، وصعوباتها الدائمة، وقام بوضع تصورات التربية في إطار قومي هادف مؤكداً أهمية التخطيط التربوي العلمي البناء وضرورة التنمية العربية التي تعتمد الثورة العلمية والتكنولوجيا والتحسب للمستقبل وفي المؤلفات التي تتجاوز (٣٧) مؤلفاً وضع فيها خلاصات فكرية شاملة وتصورات تربوية وفلسفية، ولا عجب إن كانت له محاولات لوضع فلسفة تربوية عربية تعتمد الأصالة والمعاصرة وتأخذ من الماضي وتفتح على العصر، ولقد تبلورت هذه المحاولات عبر مراجعته لاستراتيجية تطوير التربية العربية إذ تعد هذه المراجعة نقطة تحول كبرى في سيرته التربوية وفلسفتها (١٩٩٥ م). ونقده العلمي التربوي لمبادئ هذه الاستراتيجية وتوصياته الهامة بشأن تطبيقها.

٦-٢ — إنه واحد من المفكرين الذين دعوا إلى وحدة الأمة العربية، وبعث دورها، وتحقيق إنسانيتها، وتحررها من رقة الاستعمار والسيطرة الأجنبية والاستغلال والتخلف والظلم.

٦-٣ — من خلال الأعمال التي تركها عبد الدايم تتضح جهوده المتعددة في المجال التربوي وكذلك من خلال مسيرة حياته الطويلة التي قضاها أستاذاً و باحثاً في التعليم ومسؤولاً عن المعارف في حكومة قطر (١٩٥٧ — ١٩٥٨)، ومديراً للثقافة في سورية في عهد الوحدة السورية المصرية (١٩٥٩ — ١٩٦٠)، ووزيراً للإعلام لفترتين، ووزيراً للإعلام عام (١٩٦٢، ١٩٦٤)، و(وزيراً للتربية عام ١٩٦٦) وأستاذاً للتخطيط التربوي بالمركز الإقليمي لتخطيط التربية وإدارتها في البلاد العربية، بيروت ١٩٧٢. ومن خلال عمله خبيراً بالمركز الديمغرافي بالقاهرة (التابع لهيئة الأمم المتحدة ١٩٧٣ م ومديراً لمشروع اليونسكو لتطوير التربية في البلاد العربية بمقر اليونسكو بباريس ١٩٧٨ — ١٩٨٥ م ومديراً لمشروع اليونسكو لتطوير التربية في سلطنة عمان ١٩٧٥ — ١٩٧٦ م، وعضواً في مجلس أمناء مركز الدراسات العربية ببيروت من عام ١٩٧٤ م وعضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بدمشق من عام ١٩٩٢ م ولقد جهد ما في وسعه في سبيل تحقيق أهداف أمته العربية وأمانيتها التربوية والقومية.

٦-٤ — يتناول البحث شخصية عبد الدايم الفكرية والفلسفية ومعالجته للقضايا التربوية والتعليمية في إطار مغاير ونظرة جديدة وحديثة وتحليل لم تعهده المؤسسات التربوية العربية من قبل. وهذه النظرة تتسم بالشمولية في التفكير (أي تستغرق الواقع التربوي على امتداد العالم العربي)، وبعيداً عن القطرية الضيقة، وهذا ما يظهر في المكلف بتحريره من لدن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بحث مقارن عن الاتجاهات السائدة في الواقع التربوي في البلاد العربية)، م. ع، ت، ث، ع (١٩٩٣)،

٦-٥ — يعد فكر عبد الدايم وشخصيته التربوية والثقافية والقومية جزءاً من ذاكرتنا الثقافية والعربية، وقد شكلت جزءاً هاماً من دراستنا التربوية في العصر الحديث من خلال دراسة مؤلفاته وأخذنا بمنهج

العلمي، وعلى وجه التحديد في مجالات التطبيقات التربوية والتخطيط التربوي.

٦-٦- وعلى غرار أثرابه من المفكرين والباحثين تأثر عبد الدائم بالأفكار والآراء التربوية التي فاض بها عباقرة الغرب، فترجم وأعاد صياغة ما هو موافق لحاجات التربية العربية وأهدافها من خلال ترجمة بعض المصادر التربوية الفرنسية والإنكليزية، وأخذ ما يلائم ظروفنا وأوضاعنا العربية، كل ذلك يدفعنا إلى إنعام النظر بما خلفه هذا المفكر التربوي ذو الاتجاه القومي، كما تظهر ضرورة البحث وأهمية رعاية فكر هذا المربي الذي قضى أكثر من (٥٠) عاماً في البحث والتأليف، وتظهر الحاجة إلى دراسة هذا الفكر من جوانبه المتعددة التي تضمنها وذلك لصلة هذا الفكر وارتباط معطياته بالأنظمة التربوية والثقافية السائدة في مجتمعنا العربي في الوقت الحاضر.

٦-٧- تتضح أن أهمية هذا البحث من خلال حاجتنا التربوية والثقافية لهذه الدراسات، من أجل تأصيل فكرنا الثقافي والتربوي العربي وتقويته ومعرفة مواقف التصدي الثقافية والاجتماعية التي أدخلها المفكرون العرب في مواجهة التحديات التي تواجهنا، وهذه المعرفة تساعدنا كثيراً في حل بعض مشكلاتنا التربوية والثقافية التي نعيشها اليوم.

٦-٨- لقد استطاع عبد الدائم أن ينبه إلى مواطن القصور الثقافي والحضاري في النهضة العربية المعاصرة. فضلاً عن تأكيده أهمية القضايا السياسية والفكرية في عالمنا المعاصر وتفعيله لدور الحضارات والثقافات لبناء المجتمع الإنساني الجديد الذي ينعم بالسلام.

٧ - منهج البحث

يتبع البحث الحالي المنهج التاريخي ذلك لأن هذا المنهج هو الطريق الذي يتبعه الباحث في جمع معلوماته عن الأحداث والحقائق الماضية، وفي فحصها ونقدها وتحليلها، والتأكد من صحتها، وفي عرضها وترتيبها وتنظيمها وتفسيرها واستخلاص التعميمات والنتائج العامة منها والتي لاتقف فائدتها على فهم أحداث الماضي بل تتعداه إلى المساعدة في تفسير الأحداث والمشكلات الجارية وفي توجيه التخطيط للمستقبل. (الشيبياني، ١٩٧٥)

وإذ يعتمد البحث الحالي المنهج التاريخي لمناسبة الموضوع لهذا المنهج، ويعرف البحث التاريخي أنه "عملية منظمة وموضوعية؛ لاكتشاف الأدلة وتحديدها وتقييمها، والربط بينها من أجل إثبات حقائق معينة، والخروج منها باستنتاجات تتعلق بأحداث جرت في الماضي. إنه عمل يتم بروح التقصي الناقد لإعادة البناء، وصمم ليحقق عرضاً أميناً لعصر مضى" (كوهين، ومانيون ١٩٩٠، ٧٠).

وقد لجأنا إلى الطريقة التي يحدد فيها بعض القضايا والاتجاهات التربوية لنعالج كل واحدة منها على حدة، والظروف التي ولدت فيها ومراحل تطورها. وهذه الطريقة تسمى طريقة المحاور أيضاً لأن الموضوعات تتخذ بوصفها محاور تستقطب الحقائق التاريخية حولها. (طعيمة، سعيد: ٢٠٠: ص ٧١-٧٢).

٧ - ١ - ما مراحل تكوين الفكر التربوي وتطوره عند المفكر عبد الله عبد الدائم؟

يمكن للباحث الذي يريد مراحل التكوين الفكري لدى الدائم أن ينظر في المجالات الآتية :

١-١-٧- السيرة الذاتية

١-٧-٢- مراحل تكوين فكره التربوي وتطوره وتتضمن:

١-٧-٢-١- المرحلة الأولى وتمتد من سنة (١٩٥٣-١٩٦٨).

١-٧-٢-٢- المرحلة الثانية وتمتد من سنة (١٩٦٨-١٩٨٠).

١-٧-٢-٣- المرحلة الثالثة وتمتد من سنة (١٩٨٠-٢٠٠٨).

٧-٢- الجانب الشخصي الفكري ويشمل ما يأتي:

١-٧-٢- السيرة التاريخية: (انظر الملحق رقم ١)

٧-٣- مؤلفاته الفكرية والتربوية والقومية..... (انظر الملحق رقم ١).

٧-٤- مراحل تكوين فكره التربوي وتطوره

٧-٤-١- المرحلة الأولى: وتمتد كما مرّ معنا من سنة ١٩٥٣-١٩٦٨م وتتضمن آرائه وأفكاره

القومية والتربوية في القضايا العربية والتربوية، وهي الآتية:

- القضايا القومية.

- القضايا التربوية.

٧-٤-١-١- القضايا القومية

بدأ عبد الدائم مع أبناء جيله في عملية بناء ثقافة تمتد جذورها إلى التراث العربي والإسلامي ويوقد نارها اتصالها الحي بثقافة العصر الحديث وبناء تصور متكامل للكيان العربي الموحد الحر العادل المتقدم، وقد تجلّى إسهامه هذا في كتبه القومية بوجه خاص التي يجمع أهمها كتاب الأعمال القومية ١٩٥٧-١٩٦٥، وتتصدر القضايا القومية، موضوع الوحدة العربية والطبيعة التي تتحلّى بها القومية العربية، وعلاقتها بالإنسانية والعالمية والشيوعية والديمقراطية، موقع الصدارة في اهتماماته القومية (عبد الدائم، الاشتراكية والديمقراطية: ٢، ١٩٦٢) (عبد الدائم، آراء في القومية والشيوعية، ١٩٦٠: ٣)، وحاجة الوحدة العربية إلى الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويرز عبد الدائم أهمية العنصر الإنساني والتفاعل الإيجابي الخلاّق لكل أمة وأهمية أن يكون لها إيمان بهدف والثقة به، لقد ركز عبد الدائم على قضية هامة وهي قضية الوعي الفكري إذ يعده أساس كل نهضة ومحرك كل توتر اجتماعي (عبد الدائم، القومية والإنسانية: ١٩٥٩، ٨٢) (عبد الدائم، الوطن العربي والثورة، ١٩٧٣: ٦٧) ويؤكد في توجهاته التربوية القومية ضرورة الاهتمام باللغة العربية الفصحى والعناية بالتراث العربي الإسلامي وقيم الأمة وثقافتها، والاستفادة من خبرة الشيوخ ورعايتهم من قبل المجتمع لأنهم يملكون ذاكرة المجتمع (عبد الدائم ١٩٦٢: ٥٠)، (عبد الدائم، منبع الأخلاق والدين، ١٩٨٤: ٦٥).

يرى عبد الدائم أن من واجب التربية القومية أن تكون نظرة الشبيبة في تعاملهم مع الماضي من خلال

الآتي:

١- إن الإنسان أولاً وقبل كل شيء هو ابن أمته وتراثها.

٢- يتوصل الفرد عن طريق إدراكه لتاريخه إلى فهم ذاته.

٣- إن التمجيد للماضي أمر قاصر، إذ يجب النظر إلى هذا الماضي نظرة علمية فلا يأخذ الماضي كامل معناه لدى الشبيه، ولا يصبح طاقة حقيقية تغذيهم باستمرار إلا إذا نظروا إليه في حقيقته التاريخية، لأن الإدراك العلمي الواعي دوماً أساس كل إيمان (عبد الدائم، الجيل العربي الجديد: ص ٦)، (عبد الدائم، الاشتراكية والديمقراطية - ص ١٧)، (عبد الدائم الوطن العربي والثورة، ١٩٧٣ - ١١).

عد المفكر عبد الله عبد الدائم من أهم المشتغلين بالفكر القومي العربي ممن نذروا حياتهم وعملهم لقضايا أمتهم.

إن تجربة الدكتور عبد الله عبد الدائم الفكرية تلخص كما عبر عن نفسه خلال حفل تكريمه بمكتبة الأسد الوطنية في الرابع والعشرين من شهر نيسان عام ٢٠٠٣ هي تجربة جيل من المثقفين في الوطن العربي حرص على تحقيق مطلبين متكاملين تدياً أولاً في التزود بالثقافة التي تتعاقب والتراث الثقافي والحضاري العربي والإسلامي وأخذ من شتى العلوم والآداب والفنون الغربية القديمة والحديثة والأمر الآخر هو الغوص في هموم المجتمع والأمة العربية والعمل بالفكر والنضال من أجل تجاوز ذلك التحلف ومن أجل إقامة وطن عربي موحد وحديث ومتكامل يرفد بعطاءه الأمة العربية وسائر شعوب العالم.

وهكذا أسهم المفكر الراحل عبد الدائم مع أبناء جيله في عملية بناء ثقافة الجيل التي تمتد جذورها إلى التراث العربي والإسلامي ويوقد ناراها اتصالها الحي بثقافة العصر الحديث ثم بناء تصور متكامل للوطن العربي المرجو الموحد الحر العادل المتقدم وقد تجلّى إسهامه هذا في كتبه القومية بوجه خاص التي يجمع أهمها كتاب الأعمال القومية /١٩٥٧/ ١٩٦٥.

واستمر في نضاله القومي منذ أوائل الأربعينيات من القرن الماضي الذي تجلّى في مؤلفاته التربوية التي تربط ربطاً وثيقاً بين تطوير الوطن العربي تطويراً محوره التربية وبناء الإنسان بوصفه محور أي تنمية حقة وبين تحقيق الوجود القومي المتقدم مادام التقدم في العلم والمعرفة صلب بناء الحياة القومية ومادام العمل في إطار الوجود القومي المتكامل بوصفه شرطاً أساسياً للتقدم والحداثة.

ويرى عبد الدائم أن ما عمل عليه وغرسه في مجال الثقافة والفكر القومي والتربية يظل منطلقاً لأي خطوة صادقة على طريق بناء الحياة العربية الغنية القوية المتقدمة القادرة على الرغم من مرور الزمن والأحداث وتغير الأوضاع السياسية في الوطن العربي. (أهم مؤلفاته القومية والفكرية انظر الملحق رقم (١)).

٧-٤-١-٢- القضايا التربوية: برزت عند عبد الدائم في أفكاره التربوية خلال هذه المرحلة

الموضوعات الآتية:

١- التخطيط التربوي.

٢- التربية العامة.

٧-٤-١-٢-١- التخطيط التربوي

في دراسة لكتابه التخطيط التربوي ينبها إلى مسألة السياسة التعليمية معرّفاً بهذا التخطيط: أنه النظرة الشاملة المتكاملة إلى مشكلات التربية جميعها، وهو كذلك رسم للسياسة التعليمية في كل صورها رسماً يجب أن يستند إلى إحاطة شاملة بأوضاع البلد السكانية وأوضاع الطاقة العاملة والأوضاع الاقتصادية والتربوية والاجتماعية أيضاً (عبد الدائم، التخطيط الاشتراكي القومي: ١٩٦١، ص ٧). يربط بين الفلسفة والتخطيط التربوي ويرى ضرورة أن يؤكد المخطط التربوي بعد أن يحيط بفلسفة بلده الاجتماعية والسياسية، ومعرفة بأحواله السكانية والاقتصادية والاجتماعية، ويعرف كذلك نظام التربية السائد عنده ودقائق نظم التربية وعليه أن يستهدي بالإحصاء، ويؤكد أهمية دور التخطيط التربوي، وأنه يقع في القلب من نشاط المجتمع كله وفي عملية التنمية لأنه أداة التنمية ووسيلتها الأساسية، وهو المحرك لشئ جوانبها (عبد الدائم، التخطيط التربوي ١٩٦٦ - ٣ - ٧).

٧-٤-١-٢-٢- التربية العامة

يتساءل عبد الدائم عن الأسباب وراء دراسة تاريخ التربية العربية، وما مسوغات دراستها؟ يوصي عبد الدائم الدارسين والباحثين في مجال التربية العربية بضرورة الاهتمام بدراسة تاريخ الفكر التربوي بمزيد من التعمق والتثقيف، ويؤكد أن العناية بتاريخ التربية ينبع من خلال هاجسين:

الأول: تطور الفكر التربوي لكل من أراد أن يفهم الأنظار والاتجاهات التربوية والنظم التي تعيش اليوم لأنها وليدة مخاض تاريخي وتطور فكري طويل وتجربة إنسانية بعيدة الجذور وهي تحمل دوماً وأبداً شكل الإناء الذي ولدت فيه منذ القدم وتبقى برائحته وطعمه وليس هناك في مجال التربية خلق من عدم أو ابتداء من فراغ بل الأمر أولاً وأخيراً أمر متراكم عبر الزمان وجهد موصول على ممر الأيام (عبد الدائم، التربية عبر التاريخ: ١٩٧٣: ٣-٤).

والهاجس الثاني يدعونا إلى التريث عند مراجعة تاريخ التربية من جديد أي أننا نشهد في أيامنا هذه ثورة تربوية جذرية، نحاول للمرة الأولى في التاريخ أن تعيد النظر في إرث التربية كله من أقدم العصور حتى اليوم. ونسأل للمرة الأولى عن شكل آخر للتربية غير الشكل المدرسي الذي عرفته حتى اليوم (عبد الدائم، آراء في القومية والاشتراكية، ١٩٦٠: ٨). السؤال الآخر: لماذا نهتم بأسس التربية؟

في كتاب (التربية العامة) ل (أوبير) يترجم الدائم فكراً تربوياً إذ يعرف التربية وموضوعاتها والحديث عنها وعن الفلسفات المختلفة التي تتجاذب ميدان التربية وعلى رأسها الفلسفة الطبيعية والفلسفة الاجتماعية ثم يعرض الأسس العلمية التي تقوم عليها التربية من أسس بيولوجية واجتماعية ونفسية، ولا يقف عبد الدائم عند ترجمة المحترف بل يتبنى ما يترجمه فيقدم هذه الأفكار موضحاً دورها في عملية التربية، وأهمها: دور المدرسة في الحياة لأن هناك وشائج قوية تربط ما بين المدرسة والحياة، وعلاقة ضرورية بين التربية والحرية (عبد الدائم، التربية العامة: ٢-٤).

٧-٤-٢- المرحلة الثانية: وتمتد من سنة (١٩٦٨-١٩٨٠)

وقد تناول عبد الدائم قضايا تربوية هامة يغرف من معين خبرته وتجربته التربوية وكذلك من خلال عمله وإشرافه على مسؤوليات تربوية مهمة، وما اطلع عليه من مصادر تربوية أجنبية، وترجمته للكثير من هذه المصادر وتوظيفها في خدمة التربية العربية وهذه الموضوعات هي:

أ - إن التربية ما تزال قاصرة إلى حد كبير من بنيتها التقليدية منذ آلاف السنين والتحديد الذي تحدته في بعض طرائقها حدد في إطار البنية لا يتعداها ولا يحاول أن يتجاوزها ولا يجرب التربية التجريبية.

ب - تاريخ التربية.

ج - الثورة التكنولوجية.

يؤكد عبد الدائم أهمية أن تأخذ التربية دورها وأن توجه المزيد من العناية للبحث العلمي من أجل تحقيق ثورة في وسائلها وطرائقها أن يسأل عن معناها وقيمتها فكان ضرباً من الكيان المقلس الذي لايجوز مسه (التربية التجريبية، عبد الدائم ١٩٧٢، ٧-٨).

حاول عبد الدائم أن يربط ربطاً علمياً بين الثورة العلمية والتقدم التكنولوجي من جهة، والتربية من جهة أخرى (الفكر التربوي العربي الحديث: ٣٥-١٩٨٧). وأهم ما ساعد على ذلك هو تقدم العقول الإلكترونية جيلاً بعد جيل وبلوغها اليوم جيلها الرابع وتحمل قدراً من التطور لأنها أداة رائعة من أدوات التنبؤ والتحسس ولا تتوقف هذه الدراسات المستقبلية عند حد التنبؤ بالمستقبل فحسب على ضوء حاجات اتجاهات الماضي والحاضر بل يعينها أن تؤثر وتفعل وترينا المستقبل والحكم عليه وما يمكن أن نحققه من مكتشفات علمية وتقنية أقدر على فهم مستقبلها والحكم عليه وما يمكن أن نحققه من مكتشفات علمية وتقنية هائلة وعما تيسره للإنسان من قوى وطاقات جديدة وتكشف من جهة ثانية ما سيتوالد خلال ذلك كله من مشكلات ومعضلات إنسانية (دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية: ٣٦، ١٩٩٨، ٣٧).

٧-٤-٣- المرحلة الثالثة: وتمتد من سنة (١٩٨٠-٢٠٠٠)

في هذه المرحلة ركز على جملة من الأفكار التربوية تمحورت حول جملة قضايا تربوية عربية وعالمية وكانت تلك الموضوعات كالآتي:

١ - التحديد التربوي.

٢ - التربية العربية.

٣ - الثقافة العربية الذاتية.

٤ - فلسفة التربية العربية.

٥ - مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية.

٦ - دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية.

٧-٤-٣-١- التجديد التربوي

طالب بالتجديد في التربية بأطرها وبنيتها التي لم تتغير منذ مئات السنين، فلا يعدو أن يكون تجديداً على استحياء. ويتساءل الدائم: لماذا لم تقو النظريات التربوية المجددة على غزارتها وبلاغتها على أن تتسرب إلى واقع الحياة المدرسية لتغيرها وتخلقها خلقاً جديداً ولماذا هذا التباين الصارخ بين ما يدعى بنظريات التربية الحديثة على اختلاف أشكالها وبين ما هو قائم فعلاً في الواقع (الجمود والتجديد في التربية المدرسية، عبد الدائم: ١٩٨١، ٢: ٣).

٧-٤-٣-٢- التربية العربية

وبالرغم من التوسع الهائل والتطور الذي أصاب المؤسسات التربوية العربية فإنها خلقت لنا أزمة تربوية، تتضح هذه الأزمة في رأي مفكرنا التربوي الأسباب الآتية:

أ — العوامل السكانية.

ب — العوامل الاقتصادية.

ج — العوامل التربوية.

د — العوامل الاجتماعية (عبد الدائم، التربية في البلاد العربية: ١٩٨٤، ٢٠: ١٩٨٤)

٧-٤-٣-٣- الثقافة العربية الذاتية

ركز على مسألة الثقافة وعلاقتها بالتربية ويعتقد أن بناء الثقافة بناء جديداً هو السبيل إلى بناء المستقبل العربي (عبد الدائم: ١٩٨٢، ١٢). ويحدد أبرز السمات الثقافية السائدة في العالم اليوم فيحملها عبد الدائم بما يلي: انقسام العالم بين ما هو سياسي وما هو اقتصادي وما هو اجتماعي وثقافي بسبب عولمة الاقتصاد وعولمة وسائل الاتصال، التحولات السريعة التي تشهدها المجتمعات الإنسانية بسبب العولمة، وكذلك إضعاف الدولة القومية، وتقلص دور الدولة وحرية السوق وعدم تدخل الدولة. وهذه التطورات العالمية قادت إلى أزمة الثقافة العربية الإسلامية. وقد شخص عبد الدائم أزمة الثقافة العربية الإسلامية بالملاحظات الآتية:

أ — لم تنجح الثقافة العربية الإسلامية منذ أكثر من قرن في صنع أحداثها وفي وضع الأسس السليمة لهذه الأحداث.

ب — الثقافة العربية الإسلامية من أعرق ثقافات العالم وهذه العراقة التي منحها القوة والبقاء ولكنه كثيراً ما تكون عبئاً ثقيلاً معرقلاً للتجديد والتجويد.

ج — ينتسب ازدهار الثقافة العربية الإسلامية إلى ماضيها البعيد.... وهذه الحقيقة تخلق نوعاً من الانتماء الماضوي والترعة الماضوية فيصح التجديد في إطارها أصعب منالاً.

د — المشاركة الجماهيرية في بناء الثقافة العربية الحديثة المرجوة ما تزال محدودة جداً.

هـ — لم تكن محاولات تحديث هذه الثقافة في معظم الأحيان انطلاقاً من داخلها.

و — تؤدي عولمة الاقتصاد والمال والاتصال إلى هجمة شرسة على الخصوصيات الذاتية للشعوب

ولاسيما الشعب العربي الإسلامي (عبد الدائم: ٣٧، ١٩٨٢).

٧-٤-٣-٤- فلسفة التربية العربية

وضح كتابه (نحو فلسفة تربوية عربية) ماهية الفلسفة العربية وأسباب الحاجة إلى فلسفة تربوية عربية والمطالب التربوية التي نحاول إيجادها وبرز الدائم هذه الحاجة بقوله: إن أي بحث في التربية وفي مقومات العملية التربوية من مناهج وطرائق وبني وسواها يضل طريقه ويسير على غير هدى إن لم ترشده وتسبقه الإجابة عن التساؤلات أما المبررات لفلسفة تربوية عربية فمنها كما عددها عبد الدائم:

أ - أزمة حياة العربي جملة وأسبابها.

ب - التطلع إلى مستقبل جديد.

بدأ عبد الدائم مناقشة الموضوع بطرح السؤال الآتي: كيف نفهم فلسفة التربية؟ وما دور التربية وفلسفتها في تغيير المجتمع؟ وهل تقوى التربية على تكوين الناشئة؟ هل التربية قادرة على تغيير المجتمع؟ ثم عالج جملة من المصطلحات الخاصة بالفلسفة والعملية التربوية وهي: فلسفة التربية، النظرية التربوية، الإيديولوجيا التربوية، الغايات مع توضيح موقع فلسفة التربية في السياسات والاستراتيجيات والخطط وقد أرجع عبد الدائم منطلقات الفلسفة التربوية العربية إلى ما يلي: ١- الواقع العالمي. ٢- الواقع العربي.

أما المنطلقات العامة للفلسفة التربوية ومقاصدها فهي:

أ - الفلسفة التربوية لا يحددها البحث النظري بل الواقع الحي المعاش.

ب - غايات التربية ليست ثابتة ونهائية.

ج - الطابع الإجرائي للغايات التربوية.

أما معالم الفلسفة التربوية العربية فتتجلى في طائفة من القيم والآداب والعادات الإيجابية التي دخلت، وتداخل الثقافة العربية الإسلامية (نحو فلسفة تربوية عربية ١٩٩١، ١٦٥).

٧-٤-٣-٥ - مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية

وصف عبد الدائم ما جاء في الاستراتيجية في تصديره لتقرير مراجعتها أن القارئ يشعر أنه أمام كتاب جامع في التربية يحصي كل ما يجب أن تكون عليه التربية المثلى، ويؤكد أهمية استخلاص ما تزخر به المؤتمرات (...) من تأكيد أهمية بعض المبادئ والأسس التربوية الجديدة التي يجدر أن تأخذ بها كل تربية فعالة ناجحة (المجتمع المتعلم - تنوع البنى التربوية - مرونة السلم التعليمي - المرونة في تدفق المعلمين - التنوع في التربية - التعليم الأساسي - التربية المستدامة - التعليم المتناوب والتعليم المفتوح - الخ...) (مراجعة الاستراتيجية، ١٩٩٥، ٨).

ركز عبد الدائم بمراجعة تقرير استراتيجية تطوير التربية العربية الذي وضع عام ١٩٧٩ ليكون دليلاً تربوياً للمهتمين والقائمين على العملية التربوية مبيناً ملاحظاته وآراءه بخصوص تطوير هذا التقرير، و حول الواقع العربي حاضراً ومستقبلاً وانعكاساته على الواقع العربي وتطلعاته. ثم الواقع العربي حاضراً

ومستقبلاً وانعكاساته على مسيرة التربية ثم وضع واقع التربية في الوطن العربي ومشكلاته، وسبل معالجتها في ضوء عناصر الاستراتيجية (عبد الدائم: ١٩٩٥، ٩٥). موضحاً آراءه التي تمثل سبل إنقاذ الاستراتيجية والتي تتجلى بالأفكار المقترحة الآتية:

- ١- الاستفادة من مرونة استراتيجية التربية خلال التطبيق العملي.
- ٢- بذل الجهود القطرية ووضع الحلول والسبل لتحقيقها في كل الأقطار العربية.
- ٣- التعاون بين الأقطار العربية وتوحيد الجهود التربوية المشتركة ومن خلال المنظمات القومية والإقليمية العربية وعن طريق الجامعة العربية.
- ٤- إنشاء صندوق عربي لتمويل المشروعات الأساسية والشاملة التي يصعب تمويلها من قبل كل قطر من الأقطار العربية على أفراد.
- ٥- تحديث الإدارة التربوية وإعداد العاملين فيها وتطوير مفاهيم التخطيط التربوي وتقنياته وطرائقه في ضوء تغير نظام التربية وتغير حاجات القوى العاملة ودعم البنى القاعدية للبحوث والتحديات التربوية وتخصيص الأموال اللازمة لتنفيذ استراتيجية التربية وتحقيق تطوير التعليم.
- ٦- يحسن وضع خطة زمنية لجملة النشاطات التي ستقوم على هذا المستوى من أجل متابعة إنقاذ الاستراتيجية وتذليل العقبات أمامها.
- ٧- ويتطلب تطبيق الاستراتيجية جهداً قومياً مشتركاً تتولاه المنظمة العربية من أجل الحوار والتفاعل والتواصل بين المؤسسات والمجالس والمراكز التابعة لجامعة الدول العربية (٢٩: ص ١٩٥).

٧- ٤ - ٣ - ٦- دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية

يؤكد عبد الدائم في حديثه عن دور التربية في بناء القيم الإنسانية في (كتابه التربية والقيم الإنسانية في عصر العلم والتقانة والمال)، الفصل الثالث من كتابه (دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة) على فكرة أساسية: "وهي أننا حين ندعو التربية بوجه عام، والتربية العربية معها، إلى أن تسهم في توليد هذا العالم المنشود، فإننا لا نعني بذلك فقط أن نطلع بهذه المهمة — في نظرنا — من خلال مجرد غرس القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية في مناهجها وممارستها اليومية، بل نعني — كما يتضح من عرضنا لصفات التربية المستقبلية — أن تعمل التربية على تكوين إنسان قادر بنفسه على اكتشاف القيم الأخلاقية والإنسانية والدفاع عنها وإغنائها، وعلى بنائها بناء جديداً، وعلى نقدتها وتصحيح مسيرتها، وذلك بفضل ما اكتسبه من بنية نفسية وعقلية تكشف له أعماق الأمور، ومن تكوين ناقد ومبدع، يتخذ من الشك سبيله إلى اليقين، ومن النسبية سبيله إلى فهم الكون، ومن ((معرفة المعرفة)) سبيله إلى المعرفة الحقة (عبد الدائم: ١٩٩٨، ٥٨-٩٧)

يؤكد عبد الدائم أهمية دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية، مركزاً على الجانب الفلسفي والاجتماعي والثقافي ولاسيما موضوع الأخلاق والثقافة والقيم.

ويذكر عبد الدائم أن برغسون ينتقل إلى تطبيق نظريته في الأخلاق والدين على مشكلات الواقع

السياسي وعلى مشكلات التقدم الإنساني والحضارة الإنسانية وهو يقدم حلاً تقريبياً من أجل بناء مستقبل الإنسانية من خلال إيقاظ (الحميا) التي ترقى بنا إلى مستوى قيم الإنسان وحاجاته الإنسانية الحققة وأن تحقق التوازن بين ضريين من (الحميا) سارا كلاهما في اندفاع ونزق ويستمدان كلاهما أصولهما ومدخرهما من طبيعة الإنسان، (حميا) تسخير الإنسان للعلم ومبدعاته انطلاقاً من غرائز التسلط والحرب والعدوان والامتلاك والرفاهية المتباهية و(حميا) تسخير العلم ومبدعاته لمصلحة الإنسان وقيمه وحاجاته (عبد الدائم، القومية والإنسانية: ١٩٥٩، ٤).

يبين عبد الدائم أسباب النزاع الإيديولوجي الإنساني الذي ينذر بكوارث متعاطمة وربما يقود إلى ما يشبه الانتحار الذاتي بسبب فقدان التوازن والانتقال إلى مرحلة القلق وعدم التعيين فلم يعد أي إنسان اليوم يجرؤ على الإرهاس والتبشير بولادة مجتمع تقاني عقلائي يستطيع العقل الإنساني أن ينظم عقله وأن يوجهه شطر حاجات الإنسان الحققة من خلال قيم إنسانية تليدة أو محدثة ولم يعد في وسع أي منظر أن يؤكد إمكانية بناء تاريخ جديد للإنسانية متسق وعقلائي وشامل. ثم يوضح عبد الدائم أمهات المشكلات الإنسانية بوجه خاص يعانيتها منها العالم ثم يبين أهم معالم العالم الذي نرجوه وملاحمه الإنسانية والوسائل والأساليب التي يمكن أن تسعفنا في بناء هذا العالم (عبد الدائم، ١٩٩٨، ٧-٩). ومن أجل وقف حالة الانحدار الإنساني للعالم وفي محاولة تهدف إلى بناء عالم إنساني أفضل وأكثر التصاقاً بحاجات الإنسان فقد شدد المفكر عبد الله عبد الدائم على دور التربية التي لا يمكن أن يبنى أي بناء إنساني دونها والتي تستطيع وحدها أن تفجر لدى الإنسان في كل مكان الوعي والإرادة، وعي الواقع ووعي الواجب وإرادة جر الواقع نحو الواجب بل التي تستطيع وحدها أن تفجر ما في العقل الإنساني من قدرات هائلة على التغيير ما تزال مطموسة والتي تقوى على أن تجعل الإنسان يفكر (تفكيراً مغايراً لفكره) ويغالب بالتالي الصخور الصلدة التي يواجهها في سعيه إلى تغيير معالم عالم قلق وشرير غير أنه قادر ومتشبث وعنيد في دفاعه عن كيانه المادي. وبهذا فقد وصف عبد الدائم مقومات التربية المرجوة وما يجب أن يتوافر فيها من غايات محدثة ومن أساليب فعالة ناجعة ومن تحديد شامل وضروري في البنى والمناهج والطرائق التربوية ومن مرونة تستجيب لمسيرة العصر (المرجع السابق، ١٩).

٧ - ٤ - ٣ - ٧ - أفكاره وآراؤه التربوية والثقافية في ظل المتغيرات والتحديات الدولية الراهنة

وهي:

٧-٤-٣-٧-١ - التحديات الصهيونية

٧-٤-٣-٧-٢ - التحديات الثقافية.

٧-٤-٣-٧-٣ - التحديات التربوية.

٧-٤-٣-٧-٤ - التحديات العالمية المتمثلة في العولمة والمال والتقانة.

في هذا المحور نعرض لأهم أفكار عبد الدائم وآرائه التربوية والثقافية في خضم المتغيرات والتحديات الدولية المعاصرة التي تواجهها الأمة العربية.

إن المجتمعات الإنسانية قد شهدت على مدى النصف الأخير من القرن العشرين فيض نشاطات سياسية وتربوية واسعة تسعى إلى بناء موقف تربوي جديد من التحديات الاجتماعية والثقافية المعاصرة، لقد بدا في الأفق ونحت تأثير موجات عاصفة من التحولات الثقافية والسياسية والاجتماعية أنه يترتب على الإنسان المعاصر والمستقبلي أن يمتلك قدرات وخصائص جديدة تمكنه من الاستجابة لمعطيات الجدة والتسارع والزوال، وتأسيساً على ذلك بدأت المجتمعات الإنسانية تعيد النظر في فلسفتها وأهدافها التربوية لترسم سياسات وفلسفات تربوية لبناء إنسان جديد يمتلك القدرة على احتواء ما يعصف به هذا الزمان من تحولات نوعية عميقة وشاملة، (وظفة، ٨٧، ١٩٩٨).

وقد واجهت الأمة العربية في الربع الأخير من القرن العشرين تحديات كبيرة وجسيمة وفي غاية الخطورة جعلتها تقف على مفترق طرق متعددة مليئة بالمطبات والتشعبات، ومن أهم هذه التحديات: التخلف والتجزئة والاستعمار والصهيونية، وتعمل بشكل ترتبط فيه الأسباب بالنتائج وتلتقي جوانبها ببعضها بعضاً في صيغ وأشكال متعددة لا تحفى على كل ذي عين. ويمكن إجمال هذه التحديات الخطيرة بالنقاط الآتية:

- ١- صراع القوى الدولية والهجمة الاستعمارية على العالم العربي طيلة مراحل التاريخ.
- ٢- تفكك الأمة العربية بعد وحدتها وتماسكها في ظل الدولة العربية الإسلامية.
- ٣- غياب النظام الديمقراطي وما يترتب عليه من غياب الحرية والعدالة والمساواة واحترام كرامة الإنسان.

٤- التخلف الصناعي والتكنولوجي الذي يسود الوطن العربي (السيد، محمود ٢٣، ١٩٩٧).

أضف إلى ذلك تحدي الثورة العلمية وضرورة اللحاق به، فالثورة العلمية التقنية ولا شك أن من أكبر الحركات الفكرية التي ابتدعها الإنسان في مسيرته الحضارية الطويلة إن لم يكن أكبرها على الإطلاق. لقد تخمضت عن الثورة العلمية التقنية وعن ثورة المعلومات المنبثقة عنه وعن نظام العلوم الاجتماعية تقدم أساليب التخطيط تطورات كبيرة في مجال التنظيم وفي مراحل التخطيط للمشروعات وبرمجتها وتنفيذها وتقوم حركتها والاستفادة من مردودها (م.ع. ت. ث. ع: ٢٣، ١٩٩٥). ولكننا نلاحظ في الواقع العربي القصور في مواكبة العلم والثقافة والتكنولوجيا وقد أوضحت استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي الهوة بين الوطن العربي وامتلاكه للقدرة العلمية والثقافية لأن البلدان العربية لم تضع سياسات علمية وثقافية واضحة وشاملة وما تزال الموارد التي تخصصها لأنظمة العلوم والثقافة محدودة نسبياً من حيث الكم (الإنفاق) ومن حيث النوع (التأهيل والتدريب)، كما أن أنشطة العلم والثقافة العربية نشأت وتوسعت تحت ضغط الطلب الاجتماعي والمحاكاة السطحية لأنشطة العلم والثقافة في الدول المتقدمة، ولكنها لم تتطور مع تطور تلك الأخيرة وكان ارتباط أنشطة العلم والثقافة بالحاجات الاقتصادية الفعلية ضعفاً وما تزال البيئة الاجتماعية والاقتصادية غير قادرة على التفاعل الشديد مع العلوم والثقافة وما تزال التبعية الثقافية متسارعة (عبد الدائم ١٩٦٨: ٣٧).

لقد كشف عبد الدائم هذه التحديات فعمل على تحديد سبلاتها على مسيرة التربية والتعليم في الوطن العربي، ولعله من أوائل المربين العرب الذين يمتلكون حساً قومياً وأملاً في تحقيق وحدة الأمة العربية، ولقد شخص في كتاباته تحدي الوجود الصهيوني :

٧-٤-٣-١- التحديات الصهيونية

لقد استطاع الكيان الصهيوني أن يعي كل شيء من أجل خلق الكيان المصطنع إسرائيل في فلسطين، ومن هنا كان إدراكه لمعنى الرابطة القومية وقوتها وبأسها إداركاً عميقاً جعله منذ البداية يضع على رأس أهدافه تحطيم الوجود العربي المتضامن وتفتيت الأمة العربية، وإذا استطعنا أن نكون أمة عربية متضامنة وحضارة عربية منيرة ثرية (عبد الدائم: ١٩٩٨، ٤٨). فيجب أن يكون جوهر فلسفتنا التربوية القادرة على مواجهة التحدي الإسرائيلي ينطلق من تأكيد أهمية قيمتين حولهما تتحلق سائر القيم. نعني الإيمان بالعلم والتكنولوجيا من جانب وتحريض إرادة العمل القومي المشترك من جانب آخر قطبان كبيران، إن التقيا تولدت من لقاؤهما لا محالة كما دلت التجارب العالمية شرارة التقدم وانطلاقة الحضارة، الجهاد العلمي التكنولوجي مؤيداً بالعزيمة التي يولدها الإيمان برسالة مشتركة كبرى يعمل بها الجميع من هذا اللقاء الولود الواعد ينبس كل شيء وتفتح سائر القيم، الإيمان بالعمل القومي المشترك يزود أبناء الأمة بالطاقة الانفعالية الخلاقة التي تجعلهم قادرين على أن يستخرجوا كامل إمكاناتهم ويعطوا أقصى ما لديهم والإيمان بالعلم والتكنولوجيا يعي هذه الطاقات من أجل بناء مجتمع حديث قادر على مواكبة العصر يحمل في ثناياه ما دام الإيمان القومي سداه ولحمته ومنطقه تراث الأمة وقيمها ونظراته الخاصة إلى الكون والأشياء وفلسفتها الذاتية. جاء ذلك في معرض حديثه عن الأبعاد التربوية للصراع العربي الصهيوني (عبد الدائم: ١٩٨٥، ٤٩)، لقد عرفنا عبد الدائم إلى الطريق لمواجهة إسرائيل ألا وهو : الإيمان بالعمل الجماعي المشترك في كل شيء وإطلاق الفكر النقدي الحر وكل القيم التي تجدد سبلها إلى الواقع وتجسد وسائلها وأدائها مسيرة طائعة حين يغمر كل شيء ذلك الإيمان القومي بالبناء المشترك بناء مجتمع العلم الحديث وقيم التراث تتوافر وتسري في إطار هذا الإيمان المشترك وتندس طوعاً ويعمق في ثنايا كل شيء (المرجع السابق، ٩).

٧-٤-٣-٢- التحديات الثقافية

يتعرض وطننا العربي إلى هجمة تستهدف الجانب الثقافي والغزو الفكري الذي يتمثل بثلاثة اتجاهات هي:

أولاً: الغزو الأمريكي الناتج عن التطور التقني والإمكانات الضخمة التي تمثلها الثقافة الأمريكية المنبثة في تضايع ثورة المعلومات والتقنيات المتقدمة في وسائل الاتصال وتسخير القدرة الفائقة في استخدام البث الإذاعي والتلفزيون فضلاً عن بنك المعلومات والأقمار الصناعية واستخدام الحاسوب (الكمبيوتر) كل ذلك جعل الثقافة الأمريكية قادرة على غزو أي مكان في العالم، ويستعرض عبد الدائم الوضع الثقافي العالمي والتحديات الكبرى التي تواجه الحضارة العالمية اليوم والتي يستعرضها طعيمة، سعيد

(طعيمة: ٢٤، ٢٠٠٠) التي نلخصها في النقاط الآتية:

- ١- استمرار النمو الصناعي ومشتقاته وإفرازاته دون ما ضابط ذلك النمو الذي يؤدي إلى تخريب البيئة وتلوثها في مناطق من الكرة الأرضية تزداد عدداً وسعة يوماً بعد يوم.
- ٢ - الطغيان التقني الذي يهدد الثقافات وأنماط المياه وأساليب العيش وبنى المجتمعات.
- ٣ - التقدم السريع وغير المنضبط للتقنيات العلمية التي تؤدي إلى ظهور طاقات علمية خطيرة تهدد صلب الوجود الإنساني كطاقات علم النسل والأبحاث الجينية والدراسات العلمية المتصلة بالأعصاب.
- ٤ - غياب روح التضامن والتكافل بين البشر وانقلاب الأفراد إلى مجرد ذرات شاردة.
- ٥ - مخاطر التجانس الحضاري وما يمكن أن يؤدي إليه من قضاء على تنوع الثقافات من جهة ومن (بلقنة) للعروق والأجناس من جهة أخرى يجعلان من العسير قيام حضارة إنسانية مشتركة.
- ٦ - الآثار المتناقضة للعولمة تلك العولمة التي ترفع من جانب مستوى التبادل التجاري وتنمي وسائل المواصلات والاتصال وتجعل من العالم قرية صغيرة واحدة والتي تحمل من جانب آخر مخاطر تسطح الثقافات وتشاكلها فضلاً عن اتكائها وتهديمها والتي تؤدي بوجه خاص إلى طغيان طبقة الأقوياء على الضعفاء عن طريق السوق الاقتصادية الحرة وسواها.
- ٧- الجمع بين البربرية القادمة من أعماق العصور التاريخية وبين البربرية المجهولة الهوية والباردة الناجمة عن التقدم التقني والعلمي والاقتصادي.
- ٨ - سيطرة شعار النجاح — النجاح عن طريق الثروة والقوة بل شعار بقاء الأصلح ثروة وقوة والأخذ بضرب من الدارونية الاجتماعية بالتالي وكان الإنسان الاقتصادي (Economics' Homo) أصبح في خاتمة المطاف هو المثل الأعلى الذي يرجى للكائن الإنساني.
- ٩- وهذا كله يؤدي إلى تقدم التخلف، تخلف العالم الثالث واتساع الهوة بينه وبين العالم المتقدم بل يؤدي في العالم المتقدم نفسه إلى اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وإلى تزايد أعداد المتخلفين عقلياً وعاطفياً وثقافياً داخل هذه المجتمعات المتقدمة نفسها (عبد الدائم، ١٩٩٨: ٦٠-٦١).

٧-٤-٣-٧-٣- التحديات التربوية العربية

لقد استحدثت أحداث كثيرة وكبيرة في الوطن العربي على المستويات القطرية والقومية والعالمية مما له الأثر الكبير في صياغة التربية العربية فلسفة وأهدافاً ومحتوى وأساليب... (الأمم المتحدة، الصندوق العربي للإئتماء، ٢٠٠، ٩٠). ويضع عبد الدائم تصورات التربية العربية لمستقبل التربية العربية الذي يجد أنه ينطلق من المهمات الآتية لمواجهة هذه التحديات وهي:

- ١- التغلب على أزمة التربية وقوامها المطالب التربوية المتزايدة وقلة الإمكانيات المتاحة و اللجوء إلى الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة مما يتطلب: زيادة فعالية النظام التعليمي وكفاءته الداخلية واللجوء إلى أشكال جديدة من التربية تتجاوز الإطار التقليدي والأخذ بالتقنيات الحديثة في التربية وزيادة فعالية الإدارة التربوية ونقلها من مستوى الإدارة الحرفية إلى مستوى الإدارة العلمية المصنعة.

٢ - الاتجاه نحو مفهوم المجتمع المتعلم وجعل التربية موجهة إلى المجتمع كله لا إلى جزء منه إلى الأعمار جميعها لا إلى مرحلة عمرية محدودة وثابتة وتنوع أساليب التربية ومؤسساتها تبعاً لهذا المفهوم ويشتمل هذا المطلب على الأخذ بفكرة التربية المستمرة من المهد إلى اللحد وتوجيه العناية إلى التربية السابقة إلى المدرسة والتربية اللاحقة لها، فضلاً عن الفعالية بالتربية الراجعة والعودة إلى الدراسة بعد دخول العمل. (نحو فلسفة تربوية عربية، ١٩٩١، ١٠٢).

٣ - زيادة الكفاءة الخارجية للنظام التعليمي عن طريق الربط الوثيق بين التربية وبين حاجات سوق العمل وحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ورسم سياسة القبول في مراحل التعليم وأنواع التعليم استناداً إلى حاجات سوق العمل المقبلة وتطوير محتوى التعليم بما يتفق مع حاجات الثورة العلمية والتكنولوجية.

٤ - الأخذ بأسلوب التخطيط التربوي في سبيل تحقيق تنمية تربوية سريعة ومتوازنة في سبيل الربط بين هذه التنمية التربوية وجملة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية حديثة)، (عبد الدائم ١٩٩٨، ١٠٢-١٠٤). ولعل النقاط السابقة يمكن الاستفادة منها في مسيرة النهوض بالتربية العربية حتى يوم الناس هذا.

٧-٤-٣-٤-٧ - التحديات العالمية المتمثلة في العولمة والمال والتقانة

في مؤلف عبد الدائم (دور التربية في بناء حضارة إنسانية حديثة) نجد أن التسعينيات من هذا القرن قد شهد عدة تحولات رئيسة كان لها أثرها البالغ على دول العالم لاسيما الدول النامية. بما فيها أمتنا العربية الأمر الذي يتطلب ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين استيعاب هذه التحولات والسعي بإيجابياتها وسلبياتها وما تنطوي عليه من تحديات وضغوط اقتصادية واجتماعية وثقافية. وتجيء العولمة والمال والتقانة تنويعاً لهذه التحولات العصرية وتعبيراً صريحاً عن الأخذ بنظام عالمي جديد وفق أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية معينة وفي توجه نحو الأخذ بثقافة كونية مشتركة على حساب أي تحفيز ثقافي لأي مجتمع من المجتمعات. وقد برز مصطلح (العولمة) في مفهومه الشائع ليكون على وجه الخصوص مرادفاً للثورة الهائلة في المعلومات والاتصالات وتوصيفاً لانعكاساتها على أسواق المال وحرية انتقال رؤوس الأموال بصورة تتجاوز الحدود الوطنية والإقليمية وتمتد وفق أطر عمودية قارية وقد تمياً للولايات المتحدة الأمريكية المناخ الأمثل والظروف المواتية للتربع على عرش النفوذ العالمي وتبوؤ مكان الصدارة في العالم حيث تمكنت هذه الأحادية من التعجيل في وضع النظم والقوانين وإنشاء المؤسسات المختلفة لتحويل (العولمة) من إطارها الإقليمي إلى إطارها الكوني الشامل (عبد الدائم، ١٩٩٨، ٣).

و تشكل العولمة اليوم إحدى التحديات التي بدأت تواجه كثيراً من دول العالم منذ حين وستشتد وطأتها خلال القرن القادم وخاصة على الدول التي لم تسلح سلاحها. فأصبح عالمنا العربي يعاني تحدياً كبيراً ضاغطاً منذ التسعينيات من جراء العولمة وما صاحبها من تحولات علمية وتكنولوجية وإعلامية ومعرفية (الأسد، ١٩٩٩، ١٥٧). وقد تصدى عبد الدائم لهذا الموضوع في كتابه دور التربية والثقافة في

بناء حضارة إنسانية حديثة (عبد الدائم، ١٩٩٨، ٦١).

ويصف عبد الدائم وضع القيم الإنسانية في كتابه نحو فلسفة تربوية عربية، بقوله: تتضاءل معظم القيم الإنسانية وتنكمش ويصبح المعيار الوحيد المتحكم في العلاقات بين الأفراد وفي العلاقات بين الدول معيار الكسب والنجاح وتغدو الديمقراطية شعاراً يزيد أو ينقص أو ينعدم أثره الفعلي بمقدار ما يدر من فوائد ومكاسب داخل الدول وفي العلاقات بين الدول وهكذا تبدأ في الانتشار المقومات الأساسية للثقافة الأمريكية ولل فلسفة الأمريكية ويشتد عود (البراغماتية) التي نادى بها الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس، والتي عبر بها عن النظرة الأمريكية إلى الكون والأشياء. أما التحديات الكبرى فيبرزها عبد الدائم بالنقاط الآتية:

- ١- استمرار النمو الصناعي ومشتقاته وإفرازاته دون ضبط مما يؤدي إلى تلوث البيئة.
- ٢- الطغيان الثقافي الذي يهدد الثقافات وأنماط الحياة وأساليب العيش وبني المجتمعات.
- ٣- التقدم السريع وغير المنضبط للتقنيات العلمية التي تؤدي إلى ظهور طاقات علمية نظيرة تهدد صلب الوجود الإنساني كطاقات علم النسل والأبحاث الجينية والدراسات العلمية المتصلة بالأعصاب وسواها.
- ٤- غياب روح التضامن والتكافل بين البشر وانقلاب الأفراد إلى مجرد ذرات شاردة.
- ٥- مخاطر التجانس الحضاري وما يمكن أن يؤدي إليه من قضاء من تنوع الثقافات من جهة ومن بلقنة للعروق والأجناس من جهة أخرى يجعلان من العسير قيام حضارة إنسانية مشتركة.
- ٦- الآثار المتناقضة للعملة تلك التي ترفع من جانب مستوى التبادل التجاري وسائل المواصلات والاتصال وتجعل من العالم قرية صغيرة والتي تحمل من جانب آخر مخاطر تسطيح الثقافات وتآكلها فضلاً عن اتكائها وتقديمها والتي تؤدي إلى يوم خاص إلى طغيان الأقوياء على الضعفاء في السوق الاقتصادية الحرة وسواها.
- ٧- سيطرة شعار النجاح عن طريق الثروة والقوة بل شعار بقاء الأصلح، الأصلح ثروة وقوة والأخذ بضرب من الدارونية الاجتماعية.
- ٨- الجمع بين البربرية القادمة من أعماق العصور التاريخية وبين البربرية المجهولة الهوية والباردة الناجمة عن التقدم الثقافي والعلمي والاقتصادي (عبد الدائم، ١٩٩١، ١٢٦) و (عبد الدائم، ١٩٩٨، ١٠).
- ٩- وهذا كله يؤدي إلى تقدم التحلف، و اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، ومن المؤكد أن تترك هذه الإفرازات عن عالمنا العربي لأن تأثيرات العملة السلبية تشمل مناحي ومجالات الحياة. استطاع مفكرنا التربوي عبد الدائم أن يتناول الواقع التربوي محلاً آثار العملة وانعكاساتها عن هذا الواقع. ثم مبيناً دور التربية في عملية التغيير التي يشهدها العالم على الأصعدة جميعها موضحاً أيضاً معالم التربية المرجوة وهي:
- ١- مرونة النظام التربوي مرونة تستجيب لحاجات التغير المستمر.

- ٢- الأخذ بالتربية المستمرة التربية من المهد إلى اللحد وتحطيم الحواجز بالتالي بين التربية النظامية وبين سواها في أشكال التربية غير النظامية؟
- ٣- بناء القدرة لدى المتعلم على التعلم الذاتي وعلى تعليم نفسه بنفسه باستمرار وجعلها محورا لعملية التربية وهدفها الأساس.
- ٤- ربط التربية بمحاجات العمالة المتغيرة والمتجددة ومطالب التنمية الاقتصادية والاجتماعية بوجه عام.
- ٥- تحديد تقنيات التربية والاهتمام بوجه عام بالربط بين التربية والتقنيات الإعلامية والمعلوماتية الجديدة.
- ٦- ربط التربية بالتراث الثقافي العربي العالمي والاهتمام بتجديد التراث العربي من خلال منطلقاته ومن خلال تفاعله مع التراث الثقافي العالمي المتجدد (عبد الدائم، ١٩٩٨، ١١٠) (عبد الدائم، ١٩٩١، ١٢٥).
- ٧- ٤- ٣- ٨- ١- مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية عام ١٩٩٥.
- انصبت جهود عبد الله عبد الدائم في مشاركته السياسية والتربوية لبناء موقف تربوي جديد من خلال تقديم آرائه وملاحظاته لتطوير التربية العربية وإستراتيجيتها بعد مراجعة هذه الاستراتيجية ضمنها الأفكار والتصورات العلمية التي يراها مناسبة للعمل على تطوير تلك الاستراتيجية وتطبيق تلك الأفكار عملياً والتي اشتملت على:
 - ١- الواقع العالمي وآفاقه المستقبلية وانعكاساته على الواقع العربي وتطلعاته.
 - ٢- الواقع العربي حاضراً ومستقبلاً وانعكاساته.
 - ٣- واقع التربية العربية في الوطن العربي ومشكلاته.
 - ٤ - المشكلات الأساسية التي تعانيتها التربية العربية وسبل معالجتها.ويعتقد عبد الدائم أن المشكلات الأساسية التي يشكو منها النظام التربوي العربي تتمثل بالمشكلات الآتية:
 - ١- الفلسفة التربوية والأهداف التربوية والسياسة التربوية.
 - ٢- تطوير التخطيط التربوي.
 - ٣- الإنفاق على التربية.
 - ٤- محو الأمية والتعليم الإلزامي.
 - ٥- التعليم الثانوي وتشعبه.
 - ٦- ربط التربية بالثقافة.
 - ٧- ربط التعليم بمحاجات القوى العاملة (عبد الدائم، ٩٩٥: ١).

٧-٤-٣-٨-١-١-١ - مراجعة الاستراتيجية

وفي مراجعته الإستراتيجية يصف عبد الدائم الواقعي التربوي العربي في صورته الأحدث وصفاً وظيفياً يلي أغراض التقرير وكأنه يجب عن سؤال: ما المقومات الاستراتيجية للتربية العربية التي تصلح لعالمنا الجديد العامر بالقفزات الجديدة إذ هي أرادت أن يكون لها شأنها وأثرها في صياغة جملة الواقع العربي صياغة تستجيب لتلك التغيرات العالمية التي يغزو آثارها الوطن العربي وتلي حاجات هذا الوطن وتتصدى لمشكلاته في شتى المجالات الآتية:

- ١- جوانب التطور الكمي للتعليم.
- ٢- الأمية.
- ٣- التعليم ما قبل المرحلة الابتدائية.
- ٤- التعليم في المرحلة الابتدائية.
- ٥- التعليم في المرحلة الثالثة.
- ٦- المعلمون.

٧-٤-٣-٨-١-٢- مشكلات النظام التربوي العربي

يرى عبد الدائم أن المشكلات الأساسية التي يعانيها النظام التربوي العربي يمكن تحديدها بالمشكلات الآتية:

٧-٤-٣-٨-١-٢-١- الفلسفة التربوية والأهداف التربوية والسياسية التربوية: يوضح عبد

الدائم طبيعة هذه المشكلة، ويقدم مقترحات هامة لتحسينها عملياً في الواقع التربوي.

٧-٤-٣-٨-١-٢-٢- تطوير التخطيط التربوي: يعد عبد الدائم المرحلة التالية للسياسة التربوية

والاستراتيجية التربوية ويبين مصدر تخلف التخطيط التربوي العربي وعدم استجابته للمتغيرات العربية والدولية استجابة علمية وتقنية سليمة (عبد الدائم، ١٩٩٥: ١٠٠) المرجع السابق. ويوضح في السياق نفسه ملاحظاً أنه قلما نجد في الأقطار العربية جهازاً أعلى أو مجلساً أعلى للتخطيط التربوي، يمثل وزارة التربية وسائر الوزارات والقطاعات المعنية بالشأن التربوي.

٧-٤-٣-٨-١-٢-٣- الإنفاق على التربية: يقول عبد الدائم إنه مما هو جدير بالتأمل العميق

في هذا المجال أن معظم الأقطار العربية كادت تبلغ فيما تنفقه على الخدمات التربوية حداً لم يبق بعده زيادة لمستزيد ومع ذلك ما تزال مقصرة عن الحد الأدنى اللازم لها.. وستبقى كذلك حتى في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين (عبد الدائم، المرجع السابق: ١٠٢).

٧-٤-٣-٨-١-٢-٤- محور الأمية والتعليم الإلزامي: ترتبط هذه المشكلة في رأي عبد الدائم

ارتباطاً أساسياً بالعقبات المالية فضلاً عن عقبات أخرى لأن التعليم الإلزامي الذي ما يزال مقتصرًا على التعليم الابتدائي في معظم البلدان العربية يستهلك جانباً كبيراً من الإنفاق الكلي على التعليم في البلدان العربية. كما ظل تصميم التعليم الابتدائي في الوطن العربي مطلباً بعيد النال حتى مطلع القرن الحادي

والعشرين رغم الجهود الكبيرة والحملات الشاملة التي طبقت وقد قدم التوصيات لمقترحة بذلك (المرجع السابق: ١١١).

٧-٤-٣-٨-١-٢-٥- التعليم الثانوي وتشعبه: أوضح عبد الدائم هذه المشكلة من خلال مقارنة التعليم الثانوي العربي بواقع التعليم للعالم المتقدم، ولاحظ قصور مؤسسات التعليم الثانوي عما يجري في العالم لعدم مرونته وتلبية الحاجات المتنوعة للمتعلمين وانغلاق المدرسة أمام العالم والتحوليات التقنية الكبرى وعدم ربط التربية بالعمل وضعف التعليم غير النظامي وعدم ترشيح مبدأ (التعلم الذاتي) (تعلم التعلم) لمواجهة التغير السريع في العصر والقضاء على الحواجز بين التعليم النظامي وتحقيق التكامل بينهما. وشدد على ضرورة أن نأخذ بما استراتيجية تطوير التربية العربية مقدماً أيضاً الحلول الممكنة للتعليم الثانوي العربي (عبد الدائم "المرجع السابق"، ١٣٥-١٦١).

٧-٤-٣-٨-١-٢-٦- ربط التربية بالثقافة: يعدد مفكرنا جملة المعوقات الثقافية للتربية والتنمية العربية وما تشكو منه بنية العائلة العربية وثقافتها من ثغرات ونقائص عديدة لها تأثيرها في تنشئة الأطفال وفي تطوير المجتمع بوجه عام، فضلاً عن ارتباط بنية العائلة العربية بالبنية البيئية التي تتجلى ببيئات ثلاث أساسية في المجتمع العربي: بيئة البادية، وبيئة الريف، وبيئة الحضر. مما يؤدي إلى تباين الثقافات والقيم في هذه البيئات، وتشكيل الاتجاهات والمواقف التي تتصل بالنظرة إلى العمل بوجه عام وإلى العمل المهني والحزبي بوجه خاص، والمواقف التي تتصل بالنظرة إلى العمل بوجه عام وإلى العمل المهني والحزبي بوجه خاص والمواقف السلبية في استخدام التقنيات الحديثة ولاسيما في ميدان العمل الزراعي، وكذلك المواقف المتصلة بالمرأة في الوطن العربي وضآلة معدلات اشتغال المرأة بالقياس إلى جملة العالمين. وكذلك سيطرة المواقف التي تؤثر العمل المكتبي على سواه في الأعمال في الثقافة العربية وقدم مقترحات هامة وكبيرة أثناء مراجعته هذه المشكلة (عبد الدائم، المرجع السابق، ١٦٠-١٧١).

٧-٤-٣-٨-١-٣- إسهامه في وضع فلسفة تربوية عربية: هناك ضرورة لفلسفة تربوية عربية تستقي جذورها من الفلسفة الاجتماعية العامة للبلاد (عبد الدائم، ١٩٩١: ص ٩٢-٩٣).

يعرف عبد الدائم فلسفة التربية أنها: تطبيق للنظرة الفلسفية والمنهج الفلسفي على التربية انطلاقاً من تحديدنا العام — يعني تحليلها ونقدها من أجل تحقيق الاتساق والانسجام في مراحلها ومع سائر المؤسسات الاجتماعية ومن أجل استخلاص ما يجب أن تكون عليه. ثم يوضح الأسباب التي تدعو المربين وتأكيدهم وضع فلسفة عربية للتربية إلى الأسباب الآتية:

أولاً. الأسباب التربوية: ما يسمى أحياناً بأزمة التربية في البلاد العربية نتيجة للصعوبات المتعددة الوجود بعضها كفي نوعي وبعضها يتصل بالجوانب الكمية لنظم التربية العربية بفضل ديمقراطية التعليم في البلدان العربية.

١- إنه يفرض بالضرورة التساؤل عن طراز الإنسان الذي يعده عن طريق هذا التعليم المتاح للجميع بحيث تتفق أغراضه مع ما يحتاج إليه الفرد ومثل هذا التساؤل يتصل بغايات التربية أي بفلسفتها

(عبد الدائم ١٩٩٥، ١٥).

٢- الإنفاق الكبير على التربية والتساؤل عن هذا الإنفاق الضخم.

٣- البحث في محتوى التربية من مناهج وطرائق وتقنيات ونشاطات من أجل تجديده يفترض أهدافاً وغايات كبرى للتربية تشتق منها أهداف المناهج التعليمية.

٤- التحديد النوعي للنظام التربوي يستلزم فلسفة تربوية هادفة.

٥- الانطلاق بشعار التحديد وهو مفهوم لا يتجاوز التحديد كماً ودرجة فحسب بل يتجاوز طبيعته نوعاً مما يستلزم توافر قيم يستند لها وعلى رأس أهدافه تحرير الطالب وتحرير الإنسان بوجه أعم عن طريق اتباع وسائل وأساليب جديدة (عبد الدائم، ١٩٩٥، ١٦).

ثانياً: الأسباب التي تعود إلى أزمة الحياة العربية: إن أزمة المجتمع العربي ترتد إلى التربية أولاً، وأن أزمة التربية ترتد إلى عجزه عن تكوين الإنسان المنشود، وأن من اللازم أذن أن تضطلع بهذا الدور عن طريق بناء فلسفة تربوية ملتزمة بالفلسفة الاجتماعية المنشودة ويتخذ هذا الموقف أشكالاً عديدة منها:

١- إن النظم التربوية العربية القائمة نظم مجلوبة وهجينة وليست منبثقة حقاً من طبيعة المجتمع العربي وحاجاته ومن هنا كان لابد من فلسفة تربوية عربية جديدة أصيلة وحديثة معاً تقضي على ما ترسب في النظم التربوية العربية من مخلفات الاستعمار وترفض الأخذ بالقوالب التربوية الجاهزة.

٢- ويرى آخرون أن الحاجة ماسة إلى العودة إلى الأصول أولاً، أصول الفكر التربوي العربي الإسلامي وأحوال التربية الإسلامية وينادون بالتالي بالقيام بمجهود فريد لازم يستهدف جلاء أصول الفلسفة التربوية العربية الإسلامية واستخراجها من منابعها ومصادرها الأساسية واتخاذها بعد ذلك منطلقاً للفلسفة التربوية المنشودة.

٣- وثمة تأكيد لأهمية الفلسفة التربوية في معالجة الأزمة العربية منطلقة من مشكلات العصر التي ينعكس كثير منها على مشكلات المجتمع العربي سلبياً وإيجابياً والمشكلات الأكثر صلة بالتربية وفلسفتها (عبد الدائم ١٩٩٥، ١٧) (السيد، حمود، ١٩٩٧، ٥٧). أما أهم مضامين الفلسفة التربوية وغاياتها الكبرى التي اقترحها عبد الدائم للتطبيق على الواقع التربوي العربي ومعالجة أزمة التربية العربية فمنطلقاتها وغاياتها هي:

١- تكوين روح الخلق والإبداع لدى الناشئة.

٢- تكوين القدرة على التغيير والتغير.

٣- تكوين الفكر الناقد.

٤- تكوين روح التسامح والتآلف وما يلحق بها من نبذ العصبية والتعصب.

٥- تكوين روح السيطرة على المستقبل وقيادته.

٦- تكوين روح التنظيم وما يتبعها من حسن الإدارة والتسيير.

٧- تكوين الروح العلمية بما تشتمل عليه من أصول منهجية ونظام عقلي.

٨- تكوين روح الحماسة للعمل وما يرافقها من روح التحدي وإرادة التحدي، تحدي الذات وتحدي الطبيعة.

٩- تكوين روح التعاون والتضامن والعمل الجماعي المشترك.

١٠- تكوين النخبة والطلبة الرائدة في تطوير شتى جوانب الحياة العربية وفي قيادة السعي نحو تحقيق المشروع الحضاري العربي الموعود وأهمية العناية بذوي المواهب.

١١- تكوين الروح الديمقراطية في شتى جوانب الحياة العربية.

١٢- تعزيز الإيمان القومي (عبد الدائم، ٢٧٣، ١٩٩٥-٢٩٨) (عبد الدائم، ١٩٨٤، ١٨٠-١٩٧).

٧-٤-٣-٨-٢- إسهامه في وضع تصورات له حوار الحضارات

ويعتقد عبد الدائم أن هذا العالم المعن في الضلال بسبب غياب الحضور الإنساني تصيب آثاره الشريرة شعوب العالم جميعها من متقدمة ونامية ومن مهينة وخاضعة ومن غنية وفقيرة ولكن بأشكال متباينة وهذه الآثار الشريرة تنذر بالمزيد بل لعلها تنذر بما يشبه الانتحار الجماعي إن لم يتحقق حضور إنساني جديد (عبد الدائم، ١٩٩٨، ١٤٦) ..

إن المطلوب وفق رأي عبد الدائم: "حوار الثقافات لا صراع الثقافات" (عبد الدائم، ١٩٩٨: ص ١٥٣).

٨ - الاستنتاجات

توصل البحث الحالي من خلال البحث في الفكر التربوي للمفكر العربي عبد الله عبد الدائم إلى استنتاجات عدة، هي:

٨ - ١ - على صعيد الجانِب الشخصي

يقول عبد الدائم عن نفسه: "لقد كتبت الكثير، بل كثير الكثير، وألفت نيفاً وأربعين كتاباً، وخلفت وراثي مئات المقالات والمحاضرات والأبحاث وشاركت في عشرات الندوات والحلقات واللجان.. ومع ذلك أشعر — وأنا في الثمانين من العمر أن ثمة الكثير الكثير مما علي أن أكتب وأنجز وأقول، فالمعرفة تتجدد، والعالم يخطو في التقدم خطوات مسرعة في سيرها، والعالم يتغير تغيراً مذهلاً، والحقاق به وبغيره يستلزم أن ننسى الكثير مما تعلمناه وعلمناه، وأن نتعلم ونعلم من جديد، والعالم أيضاً ضائع ضال، وعلى كل ذي شأن أن يسهم في تقويم عوجه، والإنسان ساكن الكون وغايته، تفقد الكثرة الكاثرة منه المقومات الدنيا للحياة على وجه الأرض. فهل يجدي في هذا كل ما كتبت وما قلت؟ الجواب نعم ولا.

أما (نعم) فإن تقرّي ما كتبت يكشف عن أن معظمه يحمل إلى حد ما طابع النبوءة. فلقد رأى الأخطار القادمة، وحذر منها وكاد يصف العلاج. وكثير من هذا النتاج يبين بحري الأيام وتقلب الحدثان. إنه نبه وحذر وأوماً بالعلاج والحل، حتى لم يبق ولم يذر.

وأما (لا) فلأن ما أخبر عنه هذا النتاج وما أُنذر به، لم تطلع عليه الكثرة الكاثرة من أبناء الأمة

العربية، ولم يتخذ سبيله إلى التنفيذ إلا نادراً. (مفكرون ومبدعون : ٢٠٠٤، ٩).

٨-٢- يعد عبد الدائم من المفكرين القوميين الأوائل الذين آمنوا بالقومية العربية واعتزوا بتمسكهم بها، وكذلك هويتهم العربية الإسلامية وآمنوا وعملوا في سبيل تحقيق الوحدة العربية، فكتب عن الاشتراكية ومفاهيمها وسبل تطبيقها في الوطن العربي وطريقنا إلى الوحدة العربية ومفهوم الثورة في الوطن العربي والحرية وأنواعها والديمقراطية وسبل تحقيقها ناقداً الأنظمة التي تدعي الديمقراطية وناقداً أيضاً الحركات والأحزاب.

٨-٣- ربط بين التربية والقومية مبنياً دورها على الصعيد القومي العربي.

٨-٤- والشباب عند عبد الدائم هم من يمثلون الطليعة الثورية والشرخية الأكثر قدرة على العمل والتعلم والنضال وبين كيف على الجيل أن ينفصل عن الفساد ويرى على البطولة والشجاعة والمغامرة وأن يهتم الشباب بأمتهم وتاريخها وتراثها وأن يفهم نفسه ويفهم واقعه.

٨-٥- وفي مجال القضايا القومية سلط الضوء على الكيان الصهيوني واحتلاله لأرض الشعب الفلسطيني وبين عبد الدائم دور التربية والثقافة في حشد روح التحدي والصمود والقوة بوجه الغاصبي واعتقد أن الرد على التحدي الصهيوني هو رد حضاري قبل كل شيء وإذا لم تستطع الأمة تجاوز تخلفها وتأخرها لن تستطيع استعادة قوتها وتحقيق نصرها لأن المعركة هي معركة حضارية مصرية.

٨-٦- وفي كتاباته الحديثة أوضح عبد الدائم وضع الأمة العربية في ظل المتغيرات الدولية الراهنة ونظرة النظام العالمي الجديد إلى العالم العربي ثم نظرهم إلى العرب والإسلام وقضاياهم، وقد أوضح مفهوم الإيديولوجية القومية وشرح ما يهدد الوطن العربي والأمة العربية وموقفها مما يجري في العالم من أحداث وتغيرات وتطورات دولية هائلة.

٨-٧- لقد ركز على القضايا التربوية التي تنادي بأهمية التحديد التربوي والأخذ بأساليب التطور العلمي والبحث العلمي في الحقل التربوي وشدد على ضرورة الاهتمام بالتربية وربطها بعملية التنمية الشاملة.

٨-٨- يعد عبد الدائم من أهم الشخصيات التربوية العربية التي اهتمت بواقع التربية العربية مشخصاً أزمتها النوعية والكمية واصفاً أحوالها وعوامل تخلفها في مؤلفات عديدة ولاسيما كتابه القيم مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية، مقدماً مقترحاته المهمة بشأن تطويرها.

٨-٩- أوجد صيغاً تربوية جديدة، ويعد كتابه بهذا الشأن (الثورة التكنولوجية في التربية العربية) من أهم المؤلفات التي تعكس أفكاره العلمية.

٨-١٠- أكد أهمية الثقافة ولاسيما ثقافة الأمة وعلاقتها بالتربية على أساس أن الثقافة أحد الأسس الهامة التي تقوم عليها التربية. ويعد كتابه القيم دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة من أهم الكتابات التي صدرت له ؛ لأنها تبين مدى استيعابه الدقيق لما يجري في العالم وتمكنه من رصد الأحداث العالمية والتنبؤ لها.

- ٨ - ١١- رصد الوضع الدولي المتمثل في العولمة والمال والتقانة وأثره في التربية العربية.
- ٨ - ١٢- حدد المفاهيم الجديدة للتربية ومدى استجابتها للمتغيرات الدولية.
- ٨ - ١٣- عالج استراتيجيات التربية العربية من خلال مراجعته الهامة لها.
- ٨ - ١٤- وضع تصورات الثقافة لحوار الثقافات والحضارات.
- ٨ - ١٥- كيف نوظف الآراء التربوية لعبد الدائم في تربيتنا المعاصرة ؟
- شخص عبد الدائم مواطن الضعف في واقع التربية العربية كماً وكيفاً، وبذلك اختصر كل جهد يهدف إلى الوقوف على هذا الواقع، ولم يكشف بتشخيص الأدواء بل اجتهد بوصف الدواء، وانطلق من أن الجهود القطرية للبلدان العربية في سبيل نهضة تربوية تحتاج إلى جهد وحدوي عربي، وتحديد دقيق لفلسفة عربية تربوية مشتركة تتضح فيها ما يريده العرب من التربية، وأي تربية يريدون، وأي مستعلم يسعون إليه. وبذلك علينا أن نتخذ شعار العمل الجماعي العربي شعاراً نسعى إلى تحقيقه لحاجتنا المستمرة إليه كما نادي به عبد الدائم. — توظيف التقانة من خلال وعي ما فعلته هذه التقانة من تقدم في الدول المتقدمة.

— وضع مناهج جديدة من واقع البيئة العربية، والبعد عن المناهج المهجنة أو المستوردة.

— في مراجعته للاستراتيجية العربية بمجموعة كبيرة من المقترحات مازالت بحاجة إلى من يأخذ بها، ويبحثه المقارن غنى بالملاحظات التي تحتاج إلى تفعيل على أرض الواقع.

٩ - الخاتمة

لقد كان عبد الدائم منذوراً للمهمات الصعبة، نافع عن تربية أبناء الأمة العربية، وعن ثقافتها، وهويتها، فبدا وكأنه في حال من التأسيس، وفي روح متقدة من التحديد. لقد بلغ عدد مؤلفاته زهاء عشرين مؤلفاً فضلاً عن مؤلفاته القومية والإنسانية والقضية الفلسطينية. وفي سيرته الشخصية الناجحة إلهام للكثيرين الذين تفتحوا على آفاق المعرفة، فمثل في ذلك واحداً من كبار عصر التنوير. أخيراً يمكن القول إن تجربة عبد الدائم الفكرية تتلخص كما عبر عن نفسه في الرابع والعشرين من شهر نيسان عام ٢٠٠٣.. هي تجربة جيل من المثقفين في الوطن العربي حرص على تحقيق مطلبين متكاملين تدياً أولاً في التزود بالثقافة التي تتعانق مع التراث الثقافي والحضاري العربي والإسلامي، والأمر الثاني هو الغوص في هموم المجتمع والأمة العربية والعمل بالفكر والنضال من أجل تجاوز ذلك التخلف ومن أجل توليد كيان عربي موحد وحديث ومتكامل يرفد بعطاءه الأمة العربية وسائر شعوب العالم.

إن مراجعة أعمال المفكر عبد الدائم في المجال القومي ثقافة نحتاجها اليوم أكثر منسابقات الأيام لما تتعرض له فكرة القومية والوحدة العربية من هجوم عاصف، أما أعماله التربوية ففي كثير منها ما يصلح لأن نعمل به اليوم، لأن بعضه كان في مجال استشراف المستقبل.